الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITY OF TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم الفنون

السنة الجامعية: 2024/2023.
التخصص: فنون تشكيلية.
المقياس: رسم المناظر الطبيعية.
المستوى السنة الثانية.

عنوان المحاضرة: المنظر الطبيعي

المنظر الطبيعي (paysage) :

بدت الطبيعة خلال الممارسات التشكيلية بجميع أنواعها مترجمة من خلال العديد من التجارب الفنية وخاصة رسامي المشاهد الطبيعية أين تجلت عبقريتهم الفنية تلك العبقرية التي اتضحت بجلاء في **ويليام تيرنر william turner** الذي اتضحت عبقريته في ذلك التعبير التشكيلي الدقيق عن الطبيعة، بما فيها من ضوء، وسحب، والحركة، في البحر والرياح، والأمطار، وأستخدم، ألوان قوية للوصول إلى أقصى درجات الإضاءة في رسم المشاهد الطبيعية. وفي قرون موالية نجد كذلك الفرنسي **بول سيزان** الذي تميز برسم المشاهد الطبيعية الهادئة، بألوان صامتة، متلحّفة أشكال هندسية، رؤية صاغها من خلال لمسات لونية على شكل خطوط تحمل إيقاعا، والتي تتجلى بوضوح في تلك اللوحة التي رسمها على ساحل مرسيليا، والتي خلالها أظهر سيزان أمكانية خارقة في تصوير البحر وفضائه... لتأخذ عدة اتجاهات في التجارب الفنية المعاصرة التي أصبحت مجالا يمارس من خلاله العديد من الممارسات فالطبيعة منذ فن الكهوف تكن سوى مصدرا ملهما، لكنه يتبين لنا أن جل التجارب وخاصة في الفن المعاصر، لم تعد تنقل الطبيعة كما هو الحال في المدارس التقليدية ممثل المدارس الكلاسيكية والحديثة، وإنما تم تناول الطبيعة من وجهة نظر مخالفة للرؤى السابقة، وجهة نظر تغير علاقة الفنان بمحيطه وبالعالم الخارجي، وما يمتاز به من تغيرات وتفاعلات، وتحولات جوهرية، وهي تقريبا نقطة التقابل التي ولدت بؤرة الإبداعات والتناولات الفنية والطرح الجديد لها الذي كان عبر خلق صيغ جديدة لها. وبالتالي فإن الفن المعاصر الذي كان بؤرة تعدد التيارات الفنية والتيارات ذات النزعة الطبيعية، مثل تيار **فن الأرض** الذي بدوره لا ينقل الطبيعة

أو بالتحديد المشاهد الطبيعية بمجرد المحاكاة لها. وإنما يتناولها كمادة لتّمشي العملي أي أن الأعمال الفنية أصبحت تنجز مباشرة في الطبيعة، بالرغم من زوالها وتحولها الجوهري والفطري.

أن الطبيعة وكتعريف ينضوي على العديد من المفاهيم التشكيلية، تبقى دائما تنفتح على كل ما هو ممارساتي وكذلك عن علاقة الفنانين التشكيليين عبر تاريخ الفن بالطبيعة، وخاصة رسامي المشاهد الطبيعية (paysagistes) فهاته العلاقة تمتد جذورها إلى قرون غابرة وتتضح بجلاء خاصة خلال القرن السابع عشر مع الفنان الفرنسي كلود جيلي المعروف **بكلود لوران (Claude Gellée dit lorrain)** هذا الأخير الذي يعتبر من أبرز الفنانين الذي رسموا الطبيعة، بتقنية بارعة، وإحساس عميق، ذلك الإحساس يجد عند لوران مهارة عالية، وحنكة كبيرة في تنفيذه وإتقانه، وتتميز جل لوحاته التي رسم فيها الطبيعة بالتناسق والدقة والإحساس المتفرد بنقل الضوء وتحولاته ولعل أكثر ما يشدنا في أعماله هو ذلك الترابط الذي يحصل بين أشخاصه والطبيعة الموجودين فيها كأنهم جزء من الأشجار والغيمات والبحر ويظهر أكثر هذا التفاعل والتناسق خاصة في لوحة ميناء البحر التي رسمها سنة 1648.

Claude Lorrain : *Arche rocheuse et une rivière* (1626-1630)

وخلال القرن التاسع عشر نجد رائدا أخر من رواد رسم المناظر الطبيعية وهو الرسام الأنقليزي ويليام تورنر **(william turner)** الذي حاول رسم المناظر الطبيعية التي شاهدها خلال جولاته ولعل أبرز لوحاته نجد "غياب الشمس على البحيرة " التي تتمتع بمدى تعبيري كبير هذا الى جانب ذلك الإحساس المرهف بالضوء ومكونات الطبيعية حتى أن الناقد الإنقليزي جون رسكين قال عنه "إن لوحات تيرنر مكنت الناس من رؤية العالم بطريقة مختلفة وجديدة ومن خلال رسوماته حدّد من جديد العلاقة بين الطبيعة والفن " تلك العلاقة التي تحولت عنده إلى نوع من التكامل الضمني، الذي يمكن أن تقر من خلال موقعنا الإدراكي والحسي من الطبيعة، موقف دعمه تيرنر من خلال رسمه للمناظر الطبيعية بكل مكوناتها من ماء، وهواء، وأشجار، وضوء، حتى أنه سمي برسام الضوء، وخاصة ذلك الضوء الوامض الذي سمي على أنه ميزة من مميزات رسوماته.

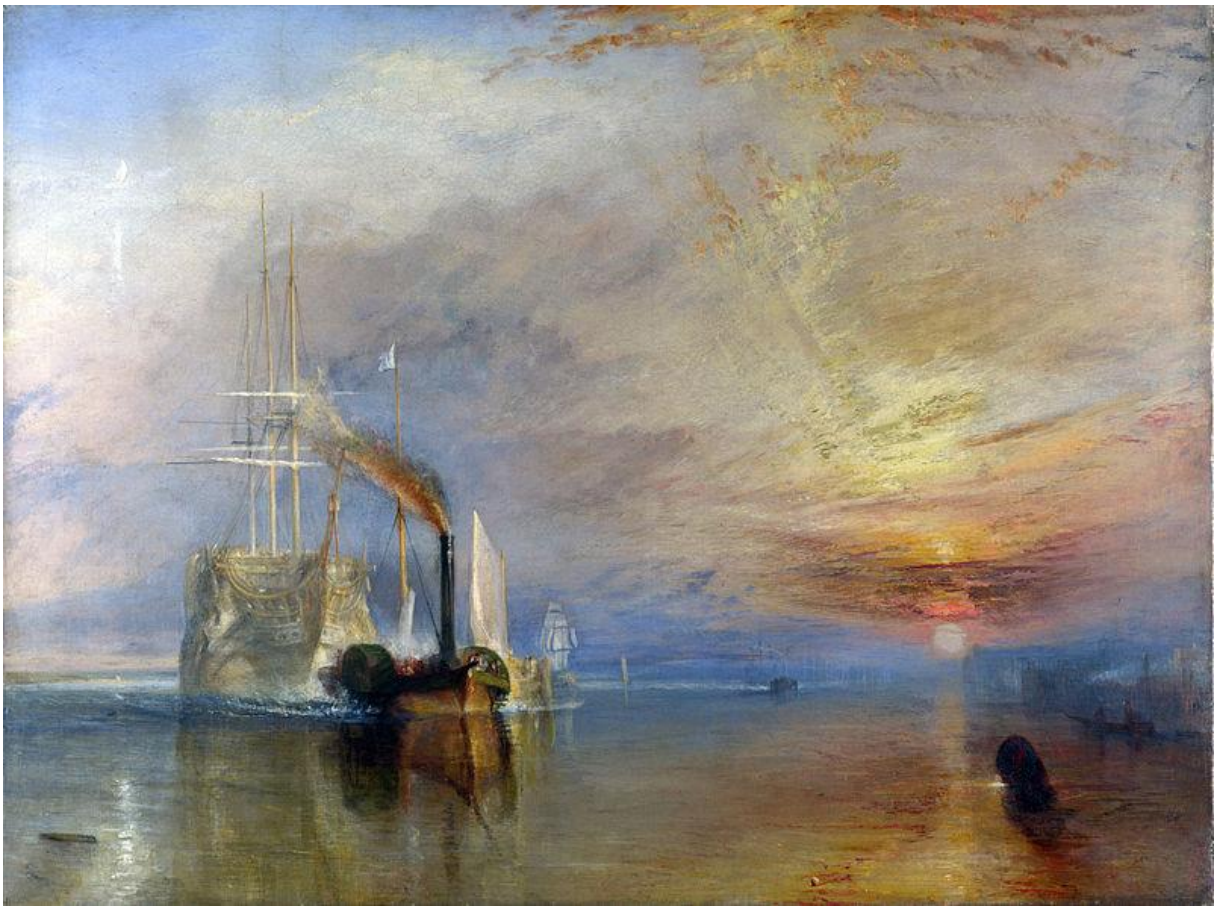

william turner : *Le Dernier Voyage du Téméraire*, 1839

وكذلك مميزات الأماكن التي زارها عكس مواطنه وكذلك رسام الطبيعة هو الأخر وهو **جون كونستابل (John Constable)** الذي انطلق يرسم من الريف الإنكليزي والمناظر الطبيعية كانت في جميع أعماله عبارة على موضوعات يوضح فيها الضوء والحركة كما قام بدراسات تبين مدى تأثير الشمس والريح على أشكاله ويتضح في الصورة التي تتمثل في الغيمات والضباب ومجرى المياه والنهر والأراضي بحقولها وملئها وفراغها وأشجارها أشكال تدل على استخدام **كونستابل (Constable)** لعبقرية خالصة وهي تقريبا ما يظهر في لوحته الشهيرة المسماة "طاحونة فلاطفورد" التي رسمها سنة 1821 لفتت بدورها أنصار المدرسة الرومانسية.

John Constable : Moulin de Flatford 1816

وهكذا تنوعت واختلفت تجارب فناني فن الطبيعة جعلونا ننظر الى تلك المواطن الجمالية التي يراها عادة الفنان ويلتقط مواطن الجمال فيها. ولكن وهناك دائما اختلافات ضمنية فهناك مثلا من يرى فيها جمالا وهناك من يرى عكس ذلك، وبالتالي إلى تلك الثنائية القائمة بحدّ ذاتها علاقة المرئي باللامرئي

أي بين من يرى فيها جمالا ومن لا يرى فيها جمالا لكن إذا تعلق الامر بالتصوير وخاصة المناظر الطبيعية فإن مسار التفكير سيقودنا مباشرة الى تلك الرؤية التي يعلن عنها بول سيزان حين يقول:

« la nature est intérieure » وقد سماها **مارلوبونتي « visibilité secrète »**

فالجمال في الطبيعة هو ما ندركه وما يمكن أن نتفاعل معه، خاصة ذلك الذي يقدمه فنانو الطبيعة، التي يمكن أن تكون لها رؤية من الداخل حسب بول سيزان ويتجلى بوضوح في المرحلة الثالثة من أعماله عندما قام برسم لوحته المسماة ب" جبل سان فكتوار" ويتأكد البحث عن هذا الإدراك من طرف الفنان عندما قام برسم جبل سان فيكتوار خمس وخمسين مرة. وكان كل مرة يضيف ويحذف أي أنه يعيد تركيب الأشكال، التي كانت تتجلى من خلال اللطخات الكبيرة الحجم ، كما أن العلاقة بالطبيعة لا يمكن أتكون بمعزل عن ذلك التأثير والانطباع ، الذي تتركه فينا وهو تقريبا ما يقودنا إلى الحديث عن تجربة كلود مونيه الذي أهتم بتلك التغيرات السريعة للضوء على المرئيات عبّر عنها بلمسات متجاورة لفرشاته. كما ظل يرسم لفترات زمنية مختلفة من حيث اليوم الواحد حتى يدرك تغيرات الضوء وتحركه على الأشياء كذلك الضوء على المرئيات ويتضح ذلك بجلاء في لوحته "انطباع شروق الشمس**.(impression soleil levant)**

إن رسم المشاهد الطبيعية وخاصة في تجارب فناني القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر كان يأخذ إشكاليات عديدة تنوعت واختلفت باختلاف إدراك أولائك الفنانين للطبيعة وكيفية تحسس نقاب الجمال فيها حيث تمكنوا من إقرار الجمال داخلها، يمكن أن نستشفه في أشكال سيزان وكذلك من خلال أطياف كلود مونيه.

سعى المفكر الفنان دائما إلى اكتساب مواطن الجمال فيها وخاصة في تلك الأجزاء الجزئية والعابرة والمتحولة فيها، مثل مشاهدة قوس قزح أثناء نزول الأمطار وكذلك انبلاج الصبح، وطور المغيب، والأمواج المتلاطمة، كلنا نتأملها ونتفحصها تستفزنا ،فننساق وراءها لفهم ظواهرها وكيفية تفاعلها وسيطرتها علينا إلا أن التجارب الفنية السابقة، رغم ملاحقتها لتطورات الطبيعة وجزئياتها الفريدة، ظلت تمثل إلا صورة لها أو مشهد من مشاهدها **(paysage)** ففناني فن الأرض كأنني بهم أرادوا أن يركبوا الطبيعة بكل تغيراتها وتحولاتها ، إلا أنه لا يمكن حصرها في بعد واحد وفي مفهوم واحد وفي ممارسة واحدة ، ذلك أن الأشياء التي لا نشاهدها في جزئيات الطبيعة هي أكبر وأشمل وأكثر حيّزا من تلك الأشياء التي نشاهدها لذلك تظل الممارسة على صلة كبيرة بتلك المعادلات التي ترجح وتنصّ على أن الطبيعة تبقى موطن الأسرار والجمال والرسم والشعر والحب.